

ساعة التحول بتوقيت طهران؛ وضع إيران في ظل حديث الحرب

03-04-2025

الكتاب

زريان روجهلاني

ملخص : كان عام 2024 عامًا صعبًا لإيران، وإذا تعرضت الآن للهجوم، فإن هذا العام سيمضي بصعوبة أكبر وظروف أسوأ. ربما القلق الرئيسي لإيران الآن ليس فقط هجومًا افتراضيًا أمريكيًا-إسرائيليًا على برامجها النووية والصاروخية، بل بالأحرى أن تندلع مرة أخرى احتجاجات داخلية في البلاد بسبب الهجمات والحصار الاقتصادي المدمر، والتي قد تحسم مصيرها السياسي.

وصلت الامور بين إيران وأمريكا من تبادل الرسائل والمراسلات إلى التهديد المفتوح بالحرب. ربما يمكننا القول بسهولة أنه في الواقع كلا الطرفين، على الأقل حاليًا، لا يريدان الحرب، لكن علينا أيضًا أن نقول بأن احتمال الحرب أكبر من أي وقت مضى، لأن هذه المسألة لا تُحسم فقط في طهران أو واشنطن. بل إن مستقبل المنافسات الجيوسياسية بين الصين وأمريكا، وأوروبا وروسيا، بالإضافة إلى سياسة إسرائيل ضد إيران، تقع في قائمة العوامل التي يمكن أخذها بعين الاعتبار لفهم احتمالية الحرب أو الحوار. ونقطة أخرى هي أنه سواء حدثت الحرب أو على العكس تم إجراء حوار، فإن هناك تغييرًا على أبواب إيران بدأ ببطء.

عدم اليقين بين إيران وأمريكا

كان عام 2024 عامًا صعبًا لإيران، وإذا تعرضت الآن للهجوم، فإن هذا العام سيمضي بصعوبة أكبر وظروف أسوأ. ربما القلق الرئيسي لإيران الآن ليس فقط هجومًا افتراضيًا أمريكيًا-إسرائيليًا على برامجها النووية والصاروخية، بل بالأحرى أن تندلع مرة أخرى احتجاجات داخلية في البلاد بسبب الهجمات والحصار الاقتصادي المدمر، والتي قد تحسم مصيرها السياسي.

بالنسبة لأمريكا، أصبحت قضية إيران عقدة سياسية وعسكرية، إذا لم تجد لها حلًا، ستسبب لها صدمة على مستوى جيوسياسي أوسع في العالم. التعاون السياسي والعسكري بين إيران وروسيا والصين يحمل إمكانية خلق عقبات لأمريكا ليس فقط في الشرق الأوسط، بل في أماكن أخرى من العالم أيضًا. هذه ليست قضية مهمة لأمريكا فحسب، بل لأوروبا أيضًا، كما يتضح من تأثير الطائرات الإيرانية بدون طيار في الحرب الأوكرانية.

قال الجنرال جون دانييل كاين [1] الذي رشحه ترامب لرئاسة أركان الجيش، إنه يتفق مع الرئيس على أنه يجب ألا تحصل إيران على أسلحة نووية، لكن الحل العسكري وحده قد لا **يكفي** لذلك. علاوة على ذلك، قد يكون صحيحًا أيضًا أنه بسبب وجود برنامج واسع النطاق لتخصيب اليورانيوم، والذي لا يتواجد كله في مكان واحد، وبعضه - مثل فوردو ونطنز - يقع على أعماق متفاوتة بين 7-90 مترًا **تحت** الأرض، وكذلك بسبب استخدام غاز **الهكسافلوريد** بدلاً من أنواع الوقود الأخرى مما يسهل عملية التخصيب، من الصعب إيقاف هذا البرنامج بهجوم واحد فقط على الرغم من أنه يمكن تأخيره.

[1] - جون دانييل كاين

نقطة أخرى هي أن إيران قد تصنع أسلحة نووية بعد هجوم افتراضي، كما **يشير** إليه حالياً بعض المسؤولين السياسيين والعسكريين في ذلك البلد. صحيح أن علي خامنئي، زعيم إيران، قد أصدر فتوى سابقة بعدم صنع أسلحة نووية، لكن في المذهب الشيعي يمكن تغيير الفتوى ويمكن أن لا تبقى كما هي.

من ناحية أخرى، بينما يتجه العالم ببطء نحو حرب **"لا يريدوها أحد"**، اكتسبت مكانة إيران أهمية كبيرة للقوى العظمى في العالم. استمرار العقوبات على إيران يصب في مصلحة الاقتصاد الصيني الذي يؤمن **15٪** من نفطه بسعر أرخص من هناك. هذا بالإضافة إلى أن العلاقات القوية بين بكين وطهران تزيد من هيمنة الصين على واحدة من أهم نقاط نقل الطاقة العالمية وسلاسل التوريد. من جرينلاند إلى مضيق هرمز وباب المندب، يشكل دور الصين المرئي وغير المرئي في سلاسل التوريد، وكذلك الممرات المائية والبرية العالمية، تهديدًا مباشرًا للهيمنة الأمريكية. بسبب موقعها الاستراتيجي والجيوسراتيجي، وكذلك لأسباب عسكرية، وتحديدًا بسبب قدرتها على صنع أسلحة رخيصة وتشغيل مجموعات بالوكالة في أماكن مختلفة، فإن أهمية إيران كبيرة للقوى العظمى في العالم في أي حرب افتراضية. وهنا يشكل **المثلث** الصيني-الإيراني-الروسي تهديدًا مباشرًا للولايات المتحدة. لذلك، فإن إخراج إيران من دائرة روسيا والصين، أو على الأقل تحييدها، له أهمية جيوسياسية واقتصادية كبيرة لواشنطن، سواء كان ذلك من خلال الحرب أو المفاوضات!

لا ننسى أنه في كل من الحربين العالميتين الأولى والثانية، كان أحد أسباب احتلال إيران هو تلك الأهمية الجيوسراتيجية التي كانت لها للقوى العظمى. هذا بالإضافة إلى أن قضية إيران هي اختبار مهم لخطاب "السلام بالقوة" الأمريكي. قال ترامب بعد أن جاء إنه سينهي حرب غزة وأوكرانيا، لكن أيًا منهما لم ينته، والآن بعد أن أعطى طهران مهلة شهرين، إذا لم يستطع - وربما مر شهر - حل قضية إيران، فإن خطابه عن السلام بالقوة سيكون موضع تساؤل كبير.

أظهرت العديد من دول العالم موقفها بشأن احتمال نشوب حرب بين إيران والولايات المتحدة، وهذه علامة على أن العالم ينظر إليها على أنها أكثر من مجرد خلاف لفظي. قال علي خامنئي، زعيم إيران، إنه لا يعتقد أن هناك هجومًا من الخارج، لكن إذا حدث ذلك، **فسيزد** بقوة. من الناحية العسكرية، هذه العبارة تعني أن إيران قد استعدت لاحتمال الحرب، تمامًا كما أرسلت الولايات المتحدة رسالة استعداد من خلال إرسال طائرات وأسلحة إلى القواعد العسكرية والدول المتحالفة معها. إلى جانب تصريحات المسؤولين الإيرانيين، زادت أطراف

جبهة المقاومة أيضاً من تصريحاتها ضد الولايات المتحدة، وذكر بعض المسؤولين العراقيين أن أي حرب افتراضية [ستشملهم](#) أيضاً وستحرق المنطقة. في الواقع، تشير التقارير الاستخباراتية الأمريكية أيضاً إلى أن إيران لا تزال لديها القدرة على [تهديد](#) المصالح الأمريكية بأسلحة تقليدية وغير تقليدية. ترجمة هذا القول هي أن إيران يمكنها خلق مشاكل للولايات المتحدة بالطائرات المسيرة والصواريخ والمجموعات الوكيلية، على الرغم من أنه من المستبعد أن تفوز بالحرب في النهاية.

ظل الحرب والوضع الداخلي في إيران

المرجع الإيراني قال إنه من المحتمل أن تكون هناك محاولات لإثارة "فتنة" داخل بلاده، وأن الشعب [سينصدي](#) لها. وهذه إشارة إلى احتمال ظهور مظاهرات واحتجاجات داخلية يمكن أن تكون مصيرية لطهران. خلال المظاهرات السابقة، كانت إيران في ذروة نفوذها الإقليمي، كما أن العديد من دول العالم لم ترغب في التدخل آنذاك. يبدو أن المسؤولين الإيرانيين قلقون من هذا الأمر منذ الآن، لأنه على الأرجح منذ أحداث 7 أكتوبر 2023، ازداد عدد الدول التي لم تعد ترغب في الهيمنة الإيرانية في الشرق الأوسط.

حديث احتمالية الحرب يمثل ضربة سيئة للاقتصاد الإيراني الذي تنخفض قيمة عملته يوماً بعد يوم. يُقدر أن معدل النمو الاقتصادي في إيران [انخفض](#) من 5٪ في العام السابق إلى 3.7٪ في 2024. التضخم يتجاوز 40٪ مما أضعف القوة الشرائية للمواطنين، ولا تزال نسبة البطالة حوالي 8٪. إذا كان عدد سكان إيران يتجاوز 90 مليون نسمة، فهذا يعني وجود 7 مليون و250 ألف عاطل عن العمل. الآن، أحد أكبر التحديات التي تواجه إيران هو [زيادة](#) احتياجات الطاقة للاستهلاك المحلي بنسبة 6٪. على سبيل المثال، أحد خيارات الحكومة هو زيادة سعر البنزين، لكن يبدو أنها تترتب حالياً لأن ذلك قد يؤدي إلى مزيد من الغلاء والاحتجاجات الداخلية. وربما لنفس السبب علقت تنفيذ قانون الحجاب الذي يطالب المحافظون بتطبيقه.

استمرار العقوبات الأمريكية والضغط لتقليص مبيعات النفط للشركات الصينية يمكن أن يعمق الأزمة الاقتصادية الإيرانية، لكن هذا ليس التحدي الوحيد للحكومة. بالتوازي مع ذلك، هناك توتر آخر بين الحكومة والجناح المحافظ المتشدد في النظام السياسي يمكن أن يسبب مشاكل إذا استمر. المحافظون المتشددون الذين سيطرون على أغلبية البرلمان، سحبوا الثقة من عبد الناصر همتي وزير الاقتصاد والمالية في حكومة بزشكيان، كما استقال محمد جواد ظريف نائب بزشكيان، بحسب قوله، بتوصية من رئيس السلطة القضائية. في الواقع، استقالة ظريف ليست لرفض التفاوض مع أمريكا كما يفسرها البعض، لأن شخصاً مثل عباس عراقجي وزير الخارجية قد شارك في مفاوضات سابقاً. لذلك، يبدو هذا الأمر أقرب إلى المنافسة الداخلية على السلطة السياسية وليس قضية سياسة خارجية.

ربما بسبب الوضع الاقتصادي والاجتماعي والاستقطاب في السياسة الداخلية، تكون الحرب أسوأ خيار للمسؤولين الإيرانيين، لأنها قد [تفتح](#) الباب لتغيير سياسي داخلي أكبر، تماماً كما فتحت حرب الخليج الأولى الطريق للتغيير التدريجي في العراق.

ماذا سيحدث في المستقبل؟

إذا حصل هجوم، فمن المرجح أن تتبع إيران مساراً مماثلاً، وإلى جانب استخدام الصواريخ والطائرات المسيّرة التي عرضتها مؤخراً، ستحت أيضاً المجموعات المسلحة الموالية لها مثل تلك الموجودة في العراق على التحرك. بعد سقوط الأسد والهجوم الواسع الأمريكي على الحوثيين، لم تقم المجموعات المسلحة العراقية بأي تحركات كبيرة، وذلك جزئياً بسبب الضغط من السياسيين العراقيين، وجزئياً لأن إيران لم ترغب في حدوث ذلك. لأنه في خضم العقوبات الأمريكية، كان العراق بمثابة المنفذ الأخير الذي يمكن أن يساعد طهران، لكن الآن قد تقل هذه الحسابات، لأن سياسة الضغط الأمريكي القوي وصلت إلى العراق أيضاً، وبغداد لم تعد قادرة على شراء الغاز والكهرباء من إيران، وحتى أن بعض المسؤولين انتقدوا إيران لبيعها النفط باسم العراق. لذلك، إذا اندلعت الحرب، فمن المرجح أن تتحرك المجموعات المؤيدة لطهران في العراق هذه المرة، لأن الهجوم المفترض يمكن أن يثير مسألة بقاء النظام السياسي في طهران، والذي قد يكون خطأً أحمر بالنسبة لهم.

بالطبع، إلى جانب التصريحات القوية من الأطراف، هناك أيضاً جهود للتفاوض، حتى لو كانت غير مباشرة. ولكن حتى لو تم التفاوض، فإنه لن ينجح ما لم يحدث تغيير في السياسة الخارجية الإيرانية. لأنه يبدو أن القضية المهمة لأمريكا ليست فقط البرنامج النووي الإيراني، بل على مستوى جيوسياسي أوسع، النفوذ الإقليمي لإيران ودورها في مثلث الصين وروسيا وإيران هو القضية الكبرى. تريد أمريكا ترامب شرقاً أوسط تكون فيه إسرائيل متفوقة في هندستها الأمنية، ويكون دور السعودية السياسي أكبر، وتركيا كفاعل يقف في وجه إيران.

وفي الأساس، لم يكن سبب انسحاب ترامب من الاتفاق النووي 1+5 يتعلق فقط بالقضايا النووية. لذلك، فإن تقييم احتمالية الحرب أو الحوار وفقاً للوضع الجيوسياسي المتغير للعالم والشرق الأوسط أكثر دقة من حصرها فقط بموضوع البرنامج النووي.